

## ريكي - دايل كاهون\*

تسليح دافيد:

### شبكة الهاغاناه غير القانونية في الولايات المتحدة لشراء الأسلحة، 1949 - 1945

في 28 أيار/مايو 1947، وجّه المدير الأول لوكالة الاستخبارات المركزية، العميد البحري آر. إتش. هيلينكويتز، مذكرة سرية إلى وزير الدفاع حملت عنوان "عمليات سرية للنقل الجوي". وفي بداية نيسان/أبريل، انتاب القلق السلطات العسكرية في أوروبا لقيام طائرات كثيرة، تابعة لشركات أميركية صغيرة لتأجير الطائرات، بنقل أسلحة وذخائر جواً إلى فلسطين. وأورد هيلينكويتز أدلة على أن "سيرفس إيروايز المحدودة"، وهي شركة طيران أميركية لشحن البضائع المدنية، تستخدم طائرات النقل "سي - 46"، الفائضة عن حاجة الجيش، لنقل أسلحة من تشيكوسلوفاكيا إلى فلسطين. وأقلقته بشكل خاص تقارير أفادت بأن أفراد الطواقم المدنية الأميركية الذين كانوا يقودون الطائرات كانوا يرتدون بشكل غير قانوني بزات القوات الجوية الأميركية. ويبدو أن مسؤولين في إيطاليا وسويسرا أفهموا، على سبيل التضليل، أن الرحلات الجوية لتهرب أسلحة كانت جزءاً من عملية مجازة أميركياً، وفقاً لما ورد في شكوى هيلينكويتز. وذكر أيضاً نشاطات "أوشن ترايد إيروايز المحدودة"، وهي شركة لتأجير طائرات الشحن، مقرها في لورينبورغ - ماكستون في ولاية كارولينا الشمالية. وكانت "أوشن ترايد إيروايز"، التي يملكها - على ما يقال - رالف كوكس من نيويورك، ترتبط بـ "أميريكان إيروايز" باتفاق تعاقدي لنقل البضائع لمصلحة "أميريكان إيروايز"، وكان أفراد طاقمها الجوي يرتدون بزات هذه الأخيرة بعد إزالة الشارات التي تحمل شعارها (AA). وقامت إحدى طائرات "أوشن ترايد"، وهي من طراز "سي - 54 سكايمستر" التي تعمل بأربع محركات والمخصصة للنقل، برحلات منتظمة بين براغ وقرية بيت دراس في فلسطين. وشهدت طائرات أخرى لـ "أوشن ترايد إيروايز"، معظمها من طراز "دي سي - 3" و"سي - 46"، في مطارات عسكرية تشيكوسلوفاكية، حيث كانت قوات الأمن التشيكوسلوفاكية تحرسها خلال التحميل والتوقف. واعتقد هيلينكويتز أن عمليات التهريب الجوي هذه للأسلحة كانت برعاية الحكومة التشيكوسلوفاكية، وضمناً، الاتحاد السوفياتي. وأشار هيلينكويتز أيضاً إلى أن مسؤولين صغاراً في الحكومة الإيطالية كانوا يمدون يد العون للرحلات الجوية الصهيونية لتهرب الأسلحة، معتبراً أن "الإيطاليين اليساريين يتعاونون بنشاط مع الحركة اليهودية ويتبعون الخط الحزبي الذي رسمه الاتحاد السوفياتي والمؤيد لتقسيم فلسطين".<sup>(1)</sup>

ولم تكن النشاطات غير المشروعة لـ "سيرفس إيروايز" و"أوشن ترايد إيروايز"، التي أقلقت العميد هيلينكويتز، سوى رأس جبل الجليد. فهي كانت جزءاً من مشروع سري ضخم تعهدهته الحركة الصهيونية لتجاوز القوانين الأميركية المتعلقة بتصدير الأسلحة. وكان المشروع، لولا أن المشاركين فيه هم أنفسهم الذين كشفوا تفصيلاته، سيبدو من صنع الخيال لأي شخص، باستثناء أكثر المؤمنين بنظريات المؤامرة حماسة. لقد كشف مكتب التحقيقات الفدرالي ووكالة الاستخبارات المركزية و"خدمة الجمارك" وغيرها من السلطات الأميركية بعض تفصيلات مخطط اليبشوف لتهرب الأسلحة في أثناء تنفيذه، لكن التفصيلات الداخلية للخطة المنظمة مركزياً لم تُكشف إلا في سنة 1970 حين عمد ليونارد سليتر، الصحافي الباحث المتعاطف مع الصهيونية، إلى مقابلة مشاركين كثر ونشر كتاب "العهد" معتبراً إياه بمثابة تقدير بطولي لهم. ووفقاً لسليتر، بدأت المؤامرة باجتماع في 1 تموز/يوليو 1945 في سقيفة في مبنى سكني في نيويورك تخص رودولف سونبورن، سليل إحدى العائلات اليهودية الأميركية الثرية التي كونت ثروتها في قطاع النفط والكيمائيات. وشمل الحضور سونبورن، وهنري مونتور، مدير "النداء اليهودي المتحد"، ودافيد بن - غوريون، و17 يهودياً أميركياً بارزاً. ولم يسمّ سليتر الحاضرين، لكنه قال بغموض:

كان أحدهم حاخاماً، وكان خمسة منهم محامين، وكان الباقون رجال أعمال. وامتلك أحدهم سلسلة من المتاجر، وكان أحدهم يعمل في المجوهرات، وآخر في قطاع الأحمية.<sup>(2)</sup>

ومضى كاشفاً أن الرجال كانوا واحداً من كل من لوس أنجليس، وبرمنغهام، وفيلادلفيا، وبيتسبورغ، وكليفلاند، وكولومبس، ومينيابوليس، وسان لويس، ونيوارك، ونيو هيفن. وكان الباكون من نيويورك. وكان الجميع أعضاء بارزين في المجتمع اليهودي، كما كانوا كلهم أثرياء. وروى تيدي كوليكي في سيرته الذاتية، "من أجل القدس: قصة حياة"، القصة ذاتها أساساً، لكنه حدد عددهم بـ "نحو 40 أميركياً نذروا أنفسهم تماماً للقضية اليهودية." (3) وهذا الفارق في التعداد يعكس على الأرجح اتساع الحلقة حول سونبورن بعد اللقاء الأولي وقبل أن يدخل كوليكي الصورة. وبغض النظر عن تعداد أعضاء مجموعة سونبورن، التي حظيت لاحقاً بالغطاء القانوني لجمعية خيرية مكرسة لإغاثة اليهود الأوروبيين باسم "مؤسسة سونبورن"، فإنها أصبحت بمثابة مجلس إدارة للجهود السرية للتسلح التي بذلتها الهاغاناه في الولايات المتحدة، وبمثابة ذراعها الخاصة بجمع الأموال.

وتبتهت مجموعة سونبورن للفرص التي أمنتها لها في الولايات المتحدة تسريح الجيش بعد الحرب العالمية الثانية. فالمصانع الأميركية كانت أنتجت كميات ضخمة من الأسلحة خلال الحرب. وكانت مئات آلاف الأطنان من المعدات العسكرية الفائضة، من أدوات الطعام إلى الدبابات والطائرات، وحتى السفن الحربية، معروضة للبيع كخردة من جانب "إدارة الأصول الحربية". وفرضت الأنظمة تعطيل هذه الأسلحة كلها، لكن الجنود الذين كانوا ينتظرون التسريح وكلفوا مهمة التعطيل لم يقوموا في حالات كثيرة بإنجاز مهمتهم كما يجب، وكان الضرر الذي ألحقه بالأسلحة لتعطيلها في حالات كثيرة سطحياً فقط. كذلك كان يمكن لأي كان أن يشتري ما يشاء بشكل مشروع. فالعتاد كان مصنفاً كخردة. لكن بعد 14 كانون الأول/ديسمبر 1947، حين أصدر الرئيس ترومان قانون الحياد وفرض حظراً على تصدير الأسلحة إلى طرفي الصراع الصهيوني - العربي، أصبح تصديرها إلى فلسطين غير قانوني. (4)

وكان الرجل المسؤول عن المنظمة التي أسست لتجاوز الحظر هو أبا هيليل سيلفر، رئيس القسم الأميركي في الوكالة اليهودية. (5) وأدار تيدي كوليكي العمليات اليومية من غرفة مستأجرة في "فندق فورتين" المتواضع الواقع في العقار 14، شرق الشارع 60، في نيويورك. (6) وقال كوليكي عن مهماته:

*تناول عملي إنتاج الأسلحة... والمضاربة على مشتريات السفن، والتعامل مع المصانع ومجمعات الخردة، وإقامة صلات بجواسيس ورجال عصابات وأقطاب الأفلام السينمائية ورجال دولة ومصرفيين وأساتذة جامعيين وصناعيين وصحافيين. ولم تنقصني الأعمال غير القانونية، من الأمور التافهة إلى الأمور الدولية... وكانت الصفقات تعقد مع حكومات في أميركا الجنوبية لشراء الدبابات وأشياء لا تحصى غيرها وشحنها إلى فلسطين. (7)*

ووصف كوليكي عمله بعمل المنظم والمنسق الذي لم ينجح من المضايقات. وكان المشتري الميداني الرئيسي - أو، على الأقل، الأجرأ - يهوداً أرزاي، الذي وُصف بالمخاطر الصارخ صاحب الأسماء المستعارة المتعددة (يهوداً ألون، جوزف تاننباوم، خوسيه دو باز، الحاخام لفكوفيتش، الدكتور شفارتز، السيد أوبنهايم، ألبرت ميلر)، والذي كان نشط في التهريب لمصلحة الهاغاناه إلى فلسطين من أوروبا منذ سنة 1938. (8) وعلى الرغم من أن أرزاي أنجز مشتريات رئيسية عديدة للأسلحة، فإن قيمته الأساسية كانت، على ما يبدو، في معرفته الواسعة بعالم تجارة الأسلحة ومعارفه، ومنهم الكونت ستيفان تشارنسكي، وهو تاجر أسلحة بولندي كان تعامل معه تجارياً في أوروبا قبل الحرب العالمية الثانية. (9) ومن شركاء أرزاي الآخرين ليونارد وايزمن، الذي كان على الأرجح عضواً في مجموعة سونبورن. وكان وايزمن شاباً (34 عاماً) من بيتسبورغ جمع ثروة من تجارة المعادن الخردة ومواد البناء. وجرت أعماله بأسماء "شركة إعادة توزيع المواد"، وهي شركة عملت في مجال الآلات الخردة، و"شركة باراغون للتصميم والتنمية"، وهي شركة تاجرت بمواد البناء، و"برات لخطوط السفن البخارية". وكان لوايزمن شركة رابعة هي "شركة فوندرلي المحدودة"، لكنها لم تكن موجودة سوى على الورق. وساعدت هذه الشركات كلها في شراء الأسلحة وتصديرها من الولايات المتحدة بشكل غير مشروع. (10)

وربما كان تاجر المعادن الخردة سام سلون الشخص الأكبر قيمة في جهود الشراء في نظر الرجل المقيم بـ "فندق فورتين". فسلون، الابن الثري المولود في الولايات المتحدة لمهاجرين يهوديين فقيرين، تفحص لوائح المواد الحربية المعطلة والتي عرضتها "إدارة الأصول الحربية" للبيع كخردة، وحدد حاجات الهاغاناه، ثم استخدم شبكة من اليهود الأميركيين المتاجرين بالمعادن الخردة والمنتشرين عبر القارة لفحص الأسلحة المرغوب فيها وإعلامه بكيفية تعطيلها. ولم تعطل كل الأسلحة التي في المستودعات بالطريقة ذاتها، واستخدم سلون التقارير المرسلة من

تجار الخردة لجمع الأجزاء غير المتضررة من أماكن متعددة وملاءمتها لتحديد أماكن الحصول على المكونات الضرورية كلها بهدف تجميع المكونات وتحويلها إلى أسلحة صالحة للاستخدام. ثم اشترى رجاله المواد كخردة وشحنوها إلى الساحل.(11)

وأحياناً سرق رجال الهاغاناه الميدانيون ما لم يمكنهم شراؤه. فنathan ليف، مالك "الشركة العالمية لإنقاذ الطائرات"، وهي شركة عملت في تحويل المقاتلات الفائضة إلى خردة في مستودع لـ "إدارة الأصول الحربية" في هاواي، انتظر ببساطة حارساً من الشرطة العسكرية كان في مناوبة ليلية في المرفق ليغادر موقعه من أجل تناول العشاء، فاستخدم رافعة لوضع 500 مدفع رشاش من عيار نصف إنش غير قابلة للإصلاح كان اشتراها باعتبارها حديداً خردة مكان 500 مدفع رشاش غيرها لم تكن عطّلت بعد. ثم شحن ليف المدافع إلى كاليفورنيا، ومن هناك أرسلها منسق الهاغاناه في الساحل الغربي، هانك غرينسبان، إلى فلسطين عن طريق المكسيك.(12)

وما إن تصل الأسلحة إلى نيويورك حتى تصبح من مسؤولية إيلي شليط. ومع أن شليط كان لا يتجاوز سن الثانية والعشرين، فقد كان ذا مهارة، يتقن لغات عديدة، وعميلاً خبيراً من عملاء الهاغاناه. وكان عمله يتمثل في نقل الأسلحة بأمان من الولايات المتحدة إلى فلسطين.(13) وحظي بمساعدة وراء الكواليس من محام نيويورك بارع هو ناحوم بيرنشتاين. وساعد بيرنشتاين في إقامة شركات واجهة كثيرة لتأمين الغطاء القانوني للصادرات غير القانونية من الأسلحة. ومن هذه الواجهات الزائفة كانت "شركة معالجة الآلات وتحويلها"، وهي شركة يفترض أنها كانت تحول المعدات العسكرية غير القاتلة، كالمشاحنات وسيارات الجيب وغيرها من الآلات، إلى الاستخدام المدني، لكنها أمنت الغطاء لشراء آلات تصنيع الأسلحة وتصديرها بشكل غير قانوني، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأسلحة. وأمنت شركة أخرى، هي "شركة عوفيد التجارية"، المفترض أنها كانت تصدر المعدات والإمدادات المستخدمة في التعدين، الغطاء القانوني لشراء المتفجرات ونقلها. وكانت "شركة نيو إنغلاند للابتكار البلاستيكي" و"شركة شيرمان المتروبوليتانية" شركتين مهميتين امتلكتا مستودعات عديدة استخدمت لجمع البضائع غير المشروعة وتخزينها وإخفائها. وأنشأ بيرنشتاين أيضاً جمعية خيرية، هي "مواد لفلسطين"، وشركتين تابعتين لها، هما "شركة التطوير الشرقي" لتصدير البضائع والآلات القانونية غير العسكرية إلى فلسطين كإمدادات إغاثة، و"شركة إنلاندا للآلات والمعادن"، وهي شركة صدرت مكونات الأسلحة وآلات تصنيع الأسلحة تحت غطاء أدوات للآلات المشروعة.(14) وكان أدولف سي. روبيسون، وهو ثري يعمل في صناعة النسيج، رئيس "مواد لفلسطين" (سميت "مواد لإسرائيل" بعد أيار/مايو 1948) في الفترة 1947 - 1949.(15) وأسست شركة أخرى، هي "أرض وعمال لفلسطين"، كمجموعة لليهود الشبان، لكن وظيفتها الأساسية كانت التجنيد غير القانوني لمقاتلين مخضرمين من اليهود (وأحياناً غير اليهود) من القوات المسلحة الأميركية للقتال في فلسطين.(16)

ووجدت الهاغاناه في الدكتاتوريين الفاسدين في أميركا اللاتينية استعداداً للتعاون في المخطط، وخصوصاً الرجل القوي في نيكاراغوا الجنرال أناستازيو "تاكو" سوموزا. فبعد اتصالات أولية عن طريق عدد من الوسطاء اليهود، سافر تيدي كوليك ويهودا أرآزي إلى نيكاراغوا والتقى سوموزا، الذي أمّن لهما جوازي سفر دبلوماسيين نيكاراغويين، وتفويضاً رسمياً لشراء أسلحة في الولايات المتحدة وأوروبا لمصلحة الحرس الوطني في نيكاراغوا، ورسائل ائتمان مسحوبة على حساب الحكومة النيكاراغوية بقيمة ثلاثة ملايين دولار، وأمر القنصليات النيكاراغوية في أوروبا بترتيب نقل الأسلحة المشتراة هناك إلى مرسيليا وترييستا وجنوى بذريعة شحنها إلى نيكاراغوا. والواقع أن الأسلحة كانت توضع على متن سفن تملكها الهاغاناه وتحوّل إلى فلسطين. ووفقاً لكوليك،

كان على سوموزا، إلى جانب وزير الخارجية والرئيس، توقيع الرسائل. كانت صفقة مشرفة تماماً، وسليمة تماماً. ولم يكن في إمكانهم تخيل شخص يقوم بعمل معاكس، وتعاونوا بسبب تعاطفهم الأساسي القوي مع قضيتنا.(17)

وأشار أميتسور إيلان إلى أن تعاطف سوموزا مع القضية الصهيونية قد عززه المال بشكل كبير. فوفقاً لإيلان، نال سوموزا عمولة مقدارها 3.5% على كل مشتريات الأسلحة لمصلحة الهاغاناه برعاية نيكاراغوا. ولم يكن سوموزا القائد الأميركي اللاتيني الوحيد المتورط. فمصادر الاستخبارات البريطانية اتهمت رئيس المكسيك بتلقي رشوة بمليون دولار من الهاغاناه لقاء مشتريات مماثلة للأسلحة ولاعتبارات تتعلق بتبديل الشحنات. وتلقى رئيس باناما دفعة مقدارها 100.000 دولار لقاء تأجير "شركة الخطوط الجوية البانامية المختلطة"، وهي كانت رسمياً

شركة الطيران البانامية، لكنها كانت في الواقع واجهة زائفة قانونية سمحت للهاغاناه بشراء طائرات في الولايات المتحدة وإخراجها من البلاد بتسجيل بانامي.(18)

وتختلف المصادر بشأن الطريقة المحددة التي تبلورت من خلالها علاقات الهاغاناه في أميركا اللاتينية. فتيدي كوليك أشار إلى أن الوسطاء الذين رتبوا اللقاء مع سوموزا كانوا: لازلو وايس، وهو رجل أعمال يهودي كانت له صلات بأشخاص نافذين في نيكاراغوا؛ السيد باتاكي، أحد شركاء وايس.(19) وأشار ليونارد سليتر إلى الكونت ستيفان تشارنسكي باعتباره الشخصية الأساسية التي نهبت يهوداً أرزبي إلى إمكان فتح ممر للأسلحة في أميركا اللاتينية بالتعاون مع لاري إيفز، وهو عقيد متقاعد في مشاة البحرية الأميركية وتاجر أسلحة قام بأعمال مشروعة ضخمة لتأمين الأسلحة والمعدات العسكرية الأميركية الفائضة إلى الحكومات في المكسيك وأميركا الوسطى.(20) وفي مقالة نشرت في مجلة "الدراسات الأميركية الجنوبية" في سنة 1988، أشار إغناثيو كليتش إلى أن صموئيل زيموري، وهو يهودي أميركي من أصل روسي يتمتع بالثراء والعلاقات السياسية وصاحب أكبر حصة من أسهم "شركة الفواكه المتحدة" النافذة، كان المحرك الأساسي الذي استخدم الضغط والنفوذ لمصلحة الصهيونيين وراء الكواليس في أميركا الوسطى.(21) وأشار المؤرخ في جامعة تل أبيب روبرت روكاوي إلى علاقة أكثر شراً وسوءاً في كتابه: "لكنه كان براً بوالدته: حياة رجال العصابات اليهود وجرائمهم". فوفقاً لروكاوي، سافر عميل الهاغاناه رؤوفين دافني، العضو في مجموعة كوليك في "فندق فورتين"، إلى ميامي والتقى زعيم العصابات اليهودي سام كاي، الذي كان على علاقة بمسؤولين فاسدين في كوبا وباناما.(22)

وأقرت روايات الشهود كلها علناً بوجود روابط بين الشبكة السرية للوكالة اليهودية الخاصة باقتناء الأسلحة الأميركية وبين الجريمة المنظمة. وفي الواقع، ربما كانت الروابط بالماфия اليهودية حاسمة في النجاح أكثر من الروابط بالحكومات الأميركية اللاتينية الفاسدة. ففي الأربعينيات، كان يسود مرفأ نيويورك فساد تام وتسيطر عليه الجريمة المنظمة. وكان هذا يصح بصورة خاصة في حالة أحواض الشحن في نيوارك ونيوجرسي، حيث لم يكن رجل العصابات اليهودي أبنر "لونغي" زويلمان قد أحكم السيطرة على نقابات الملاحين وشركات الشحن فحسب، بل كسب أيضاً قوة ونفوذاً هائلين لدى المسؤولين العاميين والشرطة والقضاة خلال فترة حظر المشروبات الكحولية. فخلال هذه الفترة، كانت دائرة الشرطة في نيوارك ملحقة بالعمليات غير القانونية الضخمة لاستيراد المشروبات الكحولية التي كان ينفذها زويلمان، ولم تكثف شرطة نيوارك بغض الطرف، بل ساعدت بنشاط أيضاً عصابة زويلمان عن طريق مواكبة الشاحنات التي كانت تقل المشروبات الكحولية المهربة لمنع اختطافها من جانب رجال العصابات المنافسة، وحراسة المستودعات التي استخدمت مراكز لتوزيع المشروبات الكحولية.(23) واستغل إيلي شليط الثقافة القائمة في نيوارك بشأن الاختراق الذي كانت تمارسه العصابات اليهودية والفساد الرسمي واستخدمهما لتسهيل شحنات الأسلحة الخاصة بالهاغاناه وحمايتها.(24)

ووجدت الهاغاناه بيئة مضيافة في الضفة النيويوركية من نهر هدسون. فهناك كانت الأحواض خاضعة لسيطرة شبكة الجريمة المنظمة التي كان يديرها ماير لانسكي وألبرت أناستازيا، وكانت مجموعة لانسكي تعبر بقوة عن إرثه اليهودي والقضية الصهيونية. كذلك، كان أغلب ملاحى نيويورك إيرلنديين أميركيين يكتون تعاطفاً مع اليهود بسبب المحرقة وعداء مرّاً للبريطانيين، وكذلك الأمر بالنسبة إلى رجال الشرطة الإيرلنديين الأميركيين في نيويورك ورئيس بلدية المدينة ويليام أودواير.(25)

وتبين أن هذه الارتباطات لا تُقدَّر بثمن حين كانت الأمور تسوء، كما حدث في 3 حزيران/يونيو 1948. ففي ذلك اليوم، حين كان شليط يراقب عن كثب تعطلت رافعة على حوض في الرصيف "ف" في نيوارك بينما كانت ترفع صندوقاً خشبياً ضخماً مكتوباً عليه "سماد" إلى سفينة الشحن "إس. إس. إكسكيوتر" المتوجهة إلى فلسطين. فقد وقع الصندوق في الحوض وتشظى وخرجت منه علب عديدة مكتوب عليها "خطراً شديداً الانفجاراً". واستدعى عمال مذعورون رجال الشرطة و"خدمة الجمارك الأميركية"، الذين عثروا في النهاية على 250 طناً من الـ "تي إن تي" كانت اشترتها إحدى الشركات الزائفة التابعة للهاغاناه وحولت مسارها بشكل غير قانوني وصادروها. واحتلت الحادثة العناوين الرئيسية، واعتقل سائقو الشاحنات الذين نقلوا الـ "تي إن تي" المهرب إلى المرفأ وأرباب عملهم. لكن، كما كان جرى في حوادث مماثلة اشتملت على مشروبات كحولية خلال فترة الحظر، لم تفض الخيوط إلى أي مكان.(26)

وذكر ليونارد سليتر ادعاءات غير مؤكدة لعملاء للهاغاناه، في مقابلات أُجريت لاحقاً، أن الجهود الصهيونية لتجاوز إجراءات تطبيق القانون في الولايات المتحدة طالت حتى مدير مكتب التحقيقات الفدرالي، ج. إدغار هوفر.

فوفقاً لمخبري سليتر، دبر روبرت ناثن، الخبير الاقتصادي والمطلع على السياسة في واشنطن، اجتماعاً سرياً بين ممثلين للوكالة اليهودية لم تذكر أسماءهم وبين هوفر. ويقال إن ناثن قال: "كان [هوفر] متعاطفاً" (27) وسواء أصح ادعاء سليتر أن الهاغاناه استغلت هوفر أم لم يصح، لا يمكن الشك في أنه كان لمجموعة سونبورن علاقات سياسية ممتازة. ويمكن تبين ذلك في الحادثة التالية. ففي صباح 24 شباط/فبراير 1947، اجتمعت مجموعة من 18 شخصية بارزة تمثل "النداء اليهودي المتحد" مدة 15 دقيقة بالرئيس هاري ترومان. وشملت المجموعة رودولف غ. سونبورن، وهنري مونتور. كان هنري مورغنتاو الابن، الذي كان حاضراً، قد طلب الموعد. وما من دليل على أن ترومان كان يعي أن سونبورن ومونتور، وربما غيرهما من الحاضرين في المكتب البيضاوي ذلك اليوم، كانا متورطين في مؤامرة لخرق القانون الأميركي، لكن لائحة المدعويين إلى الاجتماع في البيت الأبيض تبين بوضوح ترابط النشاطات القانونية وغير القانونية للحركة الصهيونية الأميركية، وأن المؤامرة وصلت إلى المستويات العليا للقيادة (28)

وكان عملاء الهاغاناه جريئين. فقد تمكن يهودا أرازي حتى من أن يشتري الـ "يو. إس. إس. أتو (سي في إي - 102)" [U.S.S. Attu (CVE-102)]، وهي حاملة طائرات تزن 10.400 طن! وعلى الرغم من أن القوات البحرية أزالته مدرجها الخشبي المخصص للطائرات ولم يعد في الإمكان، بالتالي، إقلاع الطائرات أو هبوطها، فقد بيعت السفينة شبه الجديدة بسعر ممتاز بلغ 125.000 دولار، وقرر أرازي استخدامها لنقل الأسلحة. لكن عملاء عمليين وحذرين أكثر منه رأوا أن محاولة إرسال سفينة بحجم "أتو" محملة بالأسلحة، في ظل الحصار البحري البريطاني المفروض على فلسطين، كان محفوفاً بالخطر أكثر مما يجب وباعوا السفينة كخردة في نهاية المطاف (29)

وتتمت مشتريات لسفن أصغر حجماً، وأكثر عمليةً بسهولة، ومن دون ملاحظة السلطات الأميركية. فخلال الحرب، كانت القوات البحرية الأميركية بنت مئات السفن الهجومية البرمائية من طراز "إنزال دبابة من السفينة" و"إنزال دبابة من المركبة" و"إنزال مشاة من السفينة" وسفن شحن أخرى متخصصة صغيرة الحجم. وكانت سفن الشحن هذه، المخصصة للمياه الضحلة، والعاملة على المازوت، والتي يسهل نشرها وجمعها، مثالية لأغراض الهاغاناه. وقد اشترى عمالؤها 12 سفينة من هذا النوع بأسعار رخيصة من "إدارة الأصول الحربية"، مستخدمين شركات واجهة لإخفاء هوية الشاري الحقيقية. وأرسلت هذه السفن كلها إلى مرافئ إيطالية وفرنسية ويوغسلافية في انتظار الجلاء البريطاني عن فلسطين فتبحر حينئذ بأسلحة اشترت وخبئت فيها في أوروبا (30)

والجانب الأشهر، والمذهل أكثر من غيره بالتأكيد، من جوانب شبكة الهاغاناه غير القانونية في الولايات المتحدة للإمداد بالأسلحة ربما يتمثل في عملياتها لاقتناء الطائرات وتهريب الأسلحة جواً. وكان المسؤول عن ذلك آل شفيمر، مهندس الطيران السابق في "تي دبليو إيه" الذي يسافر جواً مع "قيادة النقل الجوي" المكونة من طواقم مدنية خلال الحرب، وخصوصاً في مسارح العمليات في المحيط الهادي وفي الصين والهند وبورما. وكما كانت الحال أحياناً كثيرة في عمليات الهاغاناه لاقتناء الأسلحة في الولايات المتحدة، يجب جمع قصة نشاطات آل شفيمر من مصادر عديدة، مع اختلاف هذه المصادر أحياناً فيما يتعلق بالتفاصيل. فـ "سيرفس إيرايز المحدودة"، وهي الشركة التي أثار اهتمام العملاء الميدانيين من وكالة الاستخبارات المركزية، التابعين للعميد هيلينكويتز، بدأت شركة طيران مشروعة للإيجار والشحن، اشترتها إرفين "سوفتي" شيندلر بعد فترة قصيرة من نهاية الحرب العالمية الثانية. ولم تقلع قط أعمال الشحن الجوي التابعة لشيندلر، وقدم واجهتها إلى الهاغاناه كشركة. وعمد شفيمر، مستخدماً أموالاً أمنتها على دفعات صغيرة شركات واجهة كثيرة تابعة للهاغاناه في نيويورك، إلى نقل "سيرفس إير" إلى كاليفورنيا وبدأ بشراء طائرات فائضة من "إدارة الأصول الحربية" باسمها. ومن الطائرات المشتراة ثلاث طائرات نقل من طراز "لوكهيد كونستلايشن"، و12 طائرة من طراز "سي - 46". وعندما منعت صعوبات تلبية متطلبات جديدة لصلاحيات الطائرات للعمل صدرت عن "إدارة الطيران المدني"، وتحقيقات أجراها مكتب التحقيقات الفدرالي، من الحصول على رخص أميركية لتشغيل الطائرات، نُقلت الملكية القانونية للطائرات إلى "شركة الخطوط الجوية البانامية المختلطة" المؤسسة حديثاً، الأمر الذي سمح بنقلها جواً بشكل قانوني إلى باناما، ومن هناك إلى أوروبا. وتحطمت طائرة من طراز "سي - 46" في مكسيكو سيتي، ومات أفراد الطاقم، لكن طائرة من طراز "كونستلايشن" وتسع طائرات من طراز "سي - 46" وصلت سالمة إلى قاعدة زاتيك الجوية في تشيكوسلوفاكيا في 16 أيار/مايو 1948. وسرعان ما بدأت بنقل الأسلحة ومقاتلات مفككة من طراز "ميسر شميث بي إف - 109" إلى فلسطين (31)

وقد تكون العملية التي نفذتها الهاغاناه في زاتيك أغرب تدبير في القرن العشرين. فقد كانت الطائرات الحربية الأميركية الفائضة تطير بقيادة طواقم أميركية، قد يرتدي أفرادها بزات عسكرية أميركية، من مطار حربي خاضع لتدابير أمنية مشددة في تشيكوسلوفاكيا الواقعة تحت السيطرة السوفياتية، حاملة أسلحة ألمانية نازية مصادرة، اشترت من نظام شيوعي مفلس بمال أميركي مقدم سراً إلى يهود صهيونيين في فلسطين في خرق صارخ للقانون الأميركي، بينما كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في الوقت نفسه على شفير الحرب بسبب الحصار الذي فرضه ستالين على برلين. وكان الخطر على الموقف الأميركي في العالم العربي واضحاً؛ فلو تحطمت إحدى طائرات النقل العاملة من زاتيك، أو أُجبرت على الهبوط في أرض عربية واعتقل طاقمها الأميركي، لاتهم العرب الولايات المتحدة بتسليح الصهيونيين سراً. ولو عرفت السلطات الأميركية بما كان على وشك الحدوث لشعرت بمزيد من الذعر.

وسرعان ما انضمت إلى طائرات تهريب الأسلحة التابعة لشيفير في زاتيك ثلاث قاذفات ثقيلة من طراز "بي - 17" فلاينغ فورترس". وكانت هذه الطائرات اشترت من "إدارة الأصول الحربية" من جانب شركة واجهة تابعة للهاغاناه في الولايات المتحدة، ونقلت جواً إلى بورتوريكو ثم إلى الأزور فتشيكوسلوفاكيا. وكانت طائرات النقل "البانامية" الخاصة بشيفير قد انطلقت عبر ثغرة في القانون الأميركي؛ إذ قاد راي كورتز القاذفات إلى زاتيك في خرق مباشر لهذا القانون، فالطائرات من طراز "بي - 17" كانت لا تزال واردة في السجل المدني الأميركي. وكان عملاء اتحاديون في تولسا، في ولاية أوكلاهوما، قد صادروا إحداهما، لكن الطاقم التابع للهاغاناه سرقها من المطار غير الخاضع للحراسة، وقادها جواً إلى خارج البلاد قبل أن يعرف المسؤولون أنها فقدت. وأخرت طائرة رابعة من طراز "بي - 17" في الأزور لمشكلة في أحد المحركات، ونتيجة ذلك صادرتها السلطات البرتغالية بعدما أذرتها وزارة الخارجية الأميركية. وفي 14 تموز/ يوليو 1948، أفلعت الطائرات الثلاث من طراز "بي - 17" من زاتيك، على الرغم من أنها كانت لا تزال من الناحية القانونية طائرات مدنية أميركية، وعلى متونها حمولات كاملة من القنابل، وطار إلى إسرائيل، قاصفة القاهرة في طريقها. (32)

ولم تكن الهاغاناه المنظمة الصهيونية الوحيدة العاملة في تهريب الأسلحة في الولايات المتحدة. ففي آخر خريف سنة 1944، وضع "مكتب الخدمات الاستراتيجية" تقريراً بعنوان "أهداف إرغون تسفائي ليئومي ونشاطاتها". وفي التقرير، حدد المكتب أربع منظمات في الولايات المتحدة مرتبطة بـ "إرغون تسفائي ليئومي" (الإرغون)، هي: "الأصدقاء الأميركيون لفلسطين يهودية"؛ "الرابطة الأميركية من أجل فلسطين حرة"؛ "اللجنة من أجل جيش لليهود الفلسطينيين وفاقدي الجنسية"؛ "لجنة الطوارئ لإنقاذ الشعب اليهودي في أوروبا". (33) وفاخر زعيم الجريمة المنظمة في الساحل الغربي، ميكى كوهين، بأنه جمع مليون دولار للإرغون. وخصص جزء من المال على ما يقال لشراء "ألتانيا"، وهي سفينة هجومية برمائية فائضة من القوات البحرية لنقل الأسلحة المشتراة في أوروبا إلى فلسطين. ووفقاً لروبرت روكاوي، أكد يتسحاق بن - عامي، الذي كان رئيس العمليات الأوروبية للإرغون، جزءاً من رواية كوهين، محددًا المبلغ الذي قدمه كوهين إلى الإرغون بـ 120.000 دولار. (34)

إذا عرّينا الوكالة اليهودية من الخرافة البطولية التي تحيط بها يتبين أن جهودها لاقتناء الأسلحة في الولايات المتحدة كانت مؤامرة إجرامية. فعشية إعلان الصهيونيين الدولة اليهودية واجهوا مشكلة صعبة ومعقدة؛ فهم لم يتمكنوا من إدخال ما يكفي من الأسلحة إلى فلسطين خلال سيطرة البريطانيين ليخوضوا ضد العرب الحرب التي توقعوا أن تبدأ فور الجلاء البريطاني. وكان مصدرهم الرئيسي للدعم المالي المجتمع اليهودي الكبير، لكن الحظر الأميركي على الأسلحة منعهم من أن يقوموا ببساطة بشراء الأسلحة الأميركية، وتخزينها في المرافئ الأميركية، وشحنها إلى فلسطين فور خروج البريطانيين. لكن رودولف سونبورن والمجموعة الصغيرة من الرجال الأثرياء والنافذين، التي جمعها، تمكنا من التغلب على المشكلة عن طريق وضع حل استغل بشكل أقصى التضامن ضمن المجتمع اليهودي الأميركي، والاستعداد السوفياتي لاستغلال الوضع للإضرار بعلاقات الولايات المتحدة بالعالم العربي، والتعاطف الواسع مع اليهود بسبب المحرقة، والفساد وسوء السلوك وإهمال الواجب من طرف المسؤولين المحليين، والعلاقات بعالم الجريمة في الولايات المتحدة، والخبرة القانونية لاستغلال أوجه الضعف والفجوات في القانون الأميركي. وطبق تيدي كوليك وإيلي شليط ومجموعتهما الحل بإنشاء منظمة تدار مركزياً، لكنها مجزأة بشكل كاف لضمان أمنها. ولاحظ ضباط الاستخبارات في وكالة الاستخبارات المركزية التسليح المستمر للهاغاناه في فلسطين، وكشف مكتب التحقيقات الفدرالي أجزاء من عملية التهريب. لكن من الواضح أن السلطات الأميركية لم تملك قط صورة واضحة لبنية المنظمة الصهيونية لتهريب الأسلحة، ومن المؤكد أنها لم تتوصل إلى فهم طريقة

عملها، أو إلى معرفة من كان العقل المدبر لها. وبسبب ذلك الفشل لم تعرقل قط عملها، ولم تملك أي فرصة لإيقافها. ■

(\*) جامعة ولاية كنساس، مانهاتن، كنساس، الولايات المتحدة الأمريكية.  
ترجمة: عبد الرحمن أياس.

### المصادر

- (1) Central Intelligence Agency, 28 May 1948, Clandestine Air Transport Operations: Memorandum for the Secretary of Defense. Declassified document, case nr. EO-2001-00059. [Online] CIA-FOIA Electronic Reading Room, <http://www.cia.gov>; accessed 26 January 2007
- (2) .Leonard Slater, *The Pledge* (New York: Simon and Schuster, 1970), p. 24
- (3) .Teddy Kollek, *For Jerusalem: A Life* (New York: Random House, 1978), p. 67
- (4) .Slater, op. cit., p. 45
- (5) .Kollek, op. cit., p. 70
- (6) .Slater, op. cit., pp. 81-97
- (7) .Kollek, op. cit., pp. 68-69
- (8) Amitzur Ilan, *The Origin of the Arab-Israeli Arms Race: Arms, Embargo, Military Power and Decision in the 1948 Palestine War* (New York: New York University Press, 1996), pp. 65-66
- (9) .Ibid., p. 133
- (10) .Slater, op. cit., pp. 136-140
- (11) .Ilan, op. cit., p. 91
- (12) Slater, op. cit., pp. 198-204; Gideon Cornfield, "Hawaii Residents Aided Underdog Israel's Struggle-Nathan Liff," *Honolulu Star Bulletin*, vol. 11, (issue 288 (Sunday, Oct. 15, 2006
- (13) .Slater, op. cit., pp. 58-65
- (14) .Ilan, op. cit., pp. 91-92
- (15) "Guide to the Papers of Robison Family (1904-1995)," *American Jewish Historical Society*, Center for Jewish History, 15 West 16th Street, New York. [Online] <http://findingaids.cjh.org/?fnc=RobisonFamily&pnm=AJHS#al>; accessed 29 April 2007
- (16) Ilan, op. cit., pp. 91-92; David J. Bercusson, *The Secret Army* (Toronto: Lester and Orpen Dennys, Publishers, 1983), p. 146
- (17) .Kollek, op. cit., p. 71
- (18) .Ilan, op. cit., p. 101
- (19) .Kollek, op. cit., p. 71
- (20) .Slater, op. cit., p. 133
- (21) Ignacio Klich, "Latin America, the United States and the Birth of Israel: The Case of Somoza's Nicaragua," *Journal of Latin American Studies*, vol. 20, no. 2 (Nov. 1988), pp. 389-432

- Robert A. Rockaway, *But He was Good to His Mother: The Lives and Crimes of Jewish Gangsters* (Jerusalem: Gefen Publishing House, 2000), p. 247 (22)
- .Ibid., pp. 35-36; Kollek, op. cit., pp. 74-76 (23)
- Ilan, op. cit., pp. 63-65; Mark A. Stuart, *Gangster#2-Longy Zwillman, the Man who Invented Organized Crime* (Secaucus, N.J.: Lyle Stuart, 1985), passim (24)
- .Kollek, op. cit., pp. 75-87; Ilan, op. cit., p. 85; Rockaway, op. cit., pp. 245-246 (25)
- .Slater, op. cit., pp. 152-170 (26)
- .Ibid., p. 76 (27)
- Presidential Appointments Calendar, Monday, February 24, 1947. Truman Library (28)
- .Ilan, op. cit., pp. 95-96 (29)
- .Ibid., p. 183 (30)
- Kollek, op. cit., pp. 76-78; Ilan, op. cit., pp. 90-100; Slater, op. cit., pp. 141-147 (31)
- .Slater, op. cit., pp. 287-311 (32)
- Central Intelligence Agency (Office of Strategic Services), 23 October 1944, The Objectives and Activities of the Irgun Zvai Leumi. Declassified document, case nr. F-2005-01205. [Online] CIA-FOIA Electronic Reading Room <http://www.cia.gov>; accessed 2 February 2007 (33)



مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
[http://www.palestine-studies.org/ar\\_index.aspx](http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx)